

تعريف المفاهيم النفسية إجرائيا



maamria2012@gmail.com

أ. د. بشير معمريّة - جامعة محمد الأمين دباغين سطيف 2

"إن ما يؤخر تقدم العلم، ليس هو عدم ملاءمة فنون
البحث من مناهج وقياس وإحصاء، بل هو عدم ملاءمة
المفاهيم".

مقدمة.

هناك فوضى في تعريف مفاهيم البحث ومتغيراته في البحوث العلمية التي تجرى في علم النفس والتربية، ففي مجال تعريف المفاهيم في البحث العلمي النفسي والتربوي، يوجد نوعان من التعريفات (هما : 1) التعريفات التأسيسية أو البنائية أو النظرية أو التكوينية الفرضية، و (2) التعريفات الإجرائية، وكل نوع له مجال استعماله وهدفه وطريقة صياغته، ولكن الباحثين لا يأخذون هذه الجوانب بعين الاعتبار، وخاصة في التعريفات الإجرائية، فيقومون بصياغة تعريفات إجرائية للمفاهيم سيئة وخاطئة، تفقد هدفها في البحث؛ فيعرفون المفاهيم تأسيسيا ويقولون عنها أنها إجرائية، ويعرفون أي مفهوم تعريفا إجرائيا، وفي أحيان كثيرة، يعرفون مفهوما متعلقا بخصائص العينة ويقولون أنه تعريف إجرائي. وهكذا يملؤون بحوثهم بهذه التعريفات التي تكون في معظمها خاطئة، وإذا لم يعرف الباحث متغيرات البحث بطريقة صحيحة، ستتربت عن ذلك أخطاء فادحة كثيرة، من أهمها وأخطرها موضوع البحث، الذي يصير غير واضح، لأنه غير محدد بدقة، وبعد ذلك تصير كل جوانب البحث الأخرى غير واضحة. ويكون جهد الباحث كله لا قيمة له. ولهذا ارتأيت أن أكتب هذه المقالة القصيرة المتواضعة، أبين من خلالها، مجال التعريف الإجرائي وحدوده.

مجال التعريف الإجرائي وحدوده.

إن الظواهر التي يتعامل معها العقل البشري، وفق طبيعتها، توجد على شكلين هما :

1 — الظواهر الحسية : وهي تلك الظواهر التي يدركها الفرد بحواسه، وتكون حاضرة بعينها في صور مادية، مثل : الشجرة والتربة والكرسي والقلم والكتاب وغيرها.

2 — الظواهر المجردة : وهي تلك الظواهر التي لا يدركها الفرد بحواسه، ولا تكون حاضرة بعينها، وليس لها وجود صريح في الواقع، بل يكتسبها بإدراكه العقلي، مثل : العدالة والإيمان والتقوى والمواطنة والسعادة والقلق وغيرها.

هذا بالنسبة لعامة الناس، ولعامة العقول البشرية.

"إن ما يؤخر تقدم العلم، ليس هو عدم ملاءمة فنون البحث من مناهج وقياس وإحصاء، بل هو عدم ملاءمة المفاهيم".

هناك فوضى في تعريف مفاهيم البحث ومتغيراته في البحوث العلمية التي تجرى في علم النفس والتربية

يوجد نوعان من التعريفات (هما : 1) التعريفات التأسيسية أو البنائية أو النظرية أو التكوينية الفرضية، و (2) التعريفات الإجرائية

إذا لم يعرف الباحث متغيرات البحث بطريقة صحيحة، ستتربت عن ذلك أخطاء فادحة كثيرة، من أهمها وأخطرها موضوع البحث، الذي يصير غير

واضح، لأنه تير محدد بدقة،

لكن، ما رأي العلم في هذه المسألة؟ أو بلغة صحيحة، ما هي معايير العلم في التعامل مع هذين الشكلين من الظواهر؟

للإجابة عن هذا السؤال، تكون البداية بالذهاب إلى فلسفة العلم، ترى إحدى فلسفات العلم، وهي الفلسفة الوضعية، أن الظواهر التي لا يمكن ملاحظتها حسياً، أي بعينها مباشرة، لا تدرج ضمن خانة العلم. إلا أن الأخذ بهذا المعيار، قد يتسبب في إبعاد كثير من الظواهر من حظيرة العلم، رغم ما لها من وزن ومكانة محترمة في عقيدة العلم والعلماء، مثل: الجاذبية والكهرباء والاستطاعة والنضج والطول وغيرها. إن نيوتن سيغضب بشدة إذا علم بإبعاد ظاهرة الجاذبية من عائلة الظواهر العلمية. أما الظواهر في علم النفس، أو متغيرات ومفاهيم علم النفس، فيتم إبعادها تلقائياً من خانة العلم، كما أوصى بذلك، فيلسوف العقل، الألماني، إيمانويل كانط. وهذا الأمر غير مقبول. لذا تم إدراج معيار آخر، وهو: أن تلاحظ الظاهرة المجردة من خلال ما يشير إليها؛ فالجاذبية تلاحظ من خلال حركة الأجسام في الفضاء واتجاهها إلى ما يجذبها إليها كالأرض، والكهرباء تلاحظ من خلال إضاءة مصباح أو تشغيل جهاز، والنضج يلاحظ من خلال أداء العضو الناضج لوظيفته، وهكذا. وهنا تجد الظواهر النفسية مكاناً لها في العلم، فالسيكولوجيون يلاحظون الظواهر النفسية ويتعرفون عليها من خلال إجراءات القياس والتجريب التي يجرؤونها على ما يشير إليها وهو السلوك.

وما دام الحديث هنا عن العلم، فإن هناك علاقة متينة ودائمة بين العلم والبحث العلمي. وتوجد أنواع من البحث العلمي وأساليبه؛ كالبحث الأساسي، والبحث التطبيقي، والبحث المقارن، والبحث النوعي، والبحث الميداني والبحث غير الميداني وغيرها.

وبما أن الهدف من هذه المقالة الصغيرة، هو معرفة حدود التعريف الإجرائي للمفاهيم النفسية، فإنه من الضروري الاحتفاظ فيما يأتي من فقرات على كل من الظواهر الحسية والظواهر المجردة، والبحث الميداني والبحث غير الميداني.

إن البحث الميداني قد يكون أساسياً وقد يكون تطبيقياً، وتكون الظواهر التي يبحثها حسية أو مجردة. فإذا كانت الظواهر حسية، فإنها تظهر بعينها، وتبحث بطريقة مباشرة في إجراءات البحث الميداني. أما إذا كانت مجردة، فإن الباحث لا يستطيع التعامل معها مباشرة في ميدان البحث، أو من خلال ما يشير إليها، وهنا يتساءل، ما هو الإجراء الذي ينبغي القيام به لجعل الظاهرة المجردة، أو المفهوم المجرد موجود في ميدان البحث، ويمكن التعامل معه على أنه حقيقي. إذن، فالعبارة التي يقولها الباحث بالصيغة السابقة "ما هو الإجراء الذي أقوم به....."، هي التي صيغ منها التعريف الإجرائي. فالتعريف الإجرائي للمفاهيم المجردة في البحث الميداني، يقول به الباحث، بعد قيامه بإجراء معين، يجعل من خلاله المفهوم المجرد مفهوماً يلاحظ في ميدان البحث ويقاس كميًا. وتم تحديد هذا الإجراء في جانبين هما: 1 - القياس. 2 - التجريب.

— بالنسبة للقياس (المثال من تخصص علم النفس)، يعرف العدوان بأنه: "الدرجة التي تحصل

ترى إحدى فلسفات العلم، وهي الفلسفة الوضعية، أن الظواهر التي لا يمكن ملاحظتها حسياً، أي بعينها مباشرة، لا تدرج ضمن خانة العلم.

تم إدراج معيار آخر، وهو: أن تلاحظ الظاهرة المجردة من خلال ما يشير إليها؛ فالجاذبية تلاحظ من خلال حركة الأجسام في الفضاء واتجاهها إلى ما يجذبها إليها كالأرض

تجد الظواهر النفسية مكاناً لها في العلم، فالسيكولوجيون يلاحظون الظواهر النفسية ويتعرفون عليها من خلال إجراءات القياس والتجريب التي يجرؤونها على ما يشير إليها وهو السلوك

البحث الميداني قد يكون أساسياً وقد يكون تطبيقياً، وتكون الظواهر التي يبحثها حسية أو مجردة

إذا كانت الظواهر حسية، فإنها تظهر بعينها، وتبحث بطريقة مباشرة في إجراءات البحث الميداني.

إذا كانت مجردة، فإن الباحث لا يستطيع التعامل

عليها الفرد على مقياس يقيس السلوك العدواني".

— أما بالنسبة للتجريب، فإن الباحث يصمم موقفا تجريبيا، يجعل فيه أحد الأفراد متحمسا جدا لبلوغ هدف هام كان يسعى إليه، وفي لحظة حاسمة يحرمه من ذلك، فإذا صدر من هذا الفرد سلوك عدواني بسبب ذلك الإحباط الذي تعرض له، يعرف العدوان بأنه : "الشم والضرب والتحطيم للأشياء الذي صدر من المجرب عليه بعد تعرضه للإحباط" (الحرمان من بلوغ الهدف). والعلاقة بين الإحباط والعدوان هي من أقدم النظريات التي حاولت تفسير السلوك العدواني (نظرية : الإحباط/العدوان)، وقال بها السيكولوجيان الأمريكيان؛ نيل ميلر، جون دولارد Neal Miller & John Dollard، في الخمسينات من القرن العشرين.

والنتيجة التي نصل إليها، هي أن التعريف الإجرائي يستعمله الباحث، فقط، عندما : (1) يكون البحث ميدانيا، (2) ويكون المفهوم مجردا.

وبعد هذا نستطيع أن نحكم على المفاهيم التالية بأن تعريفها إجرائيا غير ملائم : التلميذ، الطالب الجامعي، الطفل التوحدي، الكتاب المدرسي، الأستاذ الجامعي... لأن هذه المفاهيم ليست مجردة، كما أن الباحث لم يقم بأي إجراء في القياس أو في التجريب، ليجعلها متحققة في ميدان البحث، فهي موجودة بعينها وتذكر حسيا، ويتعامل معها الباحث بهذه الصفة في ميدان البحث.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMaamriaPsyConceptsDefinition.pdf>

*** **

معما مباشرة في ميدان
البحث، أو من خلال ما يشير
إليها

التعريف الإجرائي للمفاهيم
المجردة في البحث
الميداني، يقول به الباحث،
بعد قيامه بإجراء معين، يجعل
من خلاله المفهوم المجرد
مفهوما يلاحظ في ميدان
البحث ويقاس كميًا.

العلاقة بين الإحباط
والعدوان هي من أقدم
النظريات التي حاولت تفسير
السلوك العدواني

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

شعـن: انجازات اربعة عشرة عاما من الكدح "

الكتـاب السنـوي الرابع

- التجميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية"

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التجميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3

*** **

اشترائكم لخدمات الشبكة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3